رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ

إلى أن يأتي الرب (رومية ١٣: ٨-١٤)

تأليف: دفيد روبر

لقد وصلنا إلى نهاية القسم العملي الذي بدأ في رومية ١٢: ١. وردت الكلمات التالية في منتصف نص درسنا هذا: «هذَا وَإِنَّكُمْ عَارِفُونَ الْوَقْتَ، أَنَّهَا الآنَ سَاعَةٌ لِنَسْتَيْقِظَ مِنَ النَّوْمِ، فَإِنَّ خَلاَصَنَا الآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ حِينَ آمَنَّا» (١٣: ١١). تشير كلمة «خَلاَصَنَا» في هذه الآية إلى خلاصنا النهائي عند المجيء الثاني للرب ليأخذنا معه.

كانت فكرة المجيء الثاني للرب شيء راسخ في فكر مسيحيي القرن الأول. وكانوا يهتفون: «مَارَانْ أَثَا/ مارانا ثا» (١ كورنثوس ١٦: ٢٢)، أي: «تعال يا رب»![1]. وكانوا يصلون بلجاجة: «تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ» (رؤيا ٢٢: ٢٠). يقال انه مهما كانوا يعملون، يقفون للحظة وينظرون إلى السماء. على كل حال، قال يسوع انه سيأتي «فِي سَحَابٍ بِقُوَّةٍ كَثِيرَةٍ وَمَجْدٍ» (مرقس ١٣: ٢٦؛ راجع متى ٢٤: ٣٠؛ ٢٦: ٦٤؛ مرقس ١٤: ٦٢؛ ١ تسالونيكي ٤: ١٧؛ رؤيا ١: ٧). كانت حقيقة المجيء الثاني دافع قوي للمسيحيين الأوائل. وينبغي أن تكون دافع قوي لنا أيضاً لنكون ما ينبغي لنا أن نكون ونعمل ما ينبغي لنا أن نعمل.

عنوان هذا الدرس هو «إلى أن يأتي الرب». ماذا يجب أن نعمل «إلى أن يأتي الرب»؟ تسلط رومية ١٣: ٨-١٤ الضوء على كلمتين ينبغي أن تميزا جميع المسيحيين بينما هم ينتظرون ذلك اليوم العظيم.

كن إنسان مُحِب (١٣: ٨-١٠)

دين غير مدفوع (الآية ٨)

يبدأ هذا القسم بوصية مثيرة: «لاَ تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ ...» (الآية ٨). يعبر بعض الناس هذه العبارة انها تعني انه لا يجب للمسيحي أن يأخذ ديناً أبداً. اتخذ كثيرون من الذين عاشوا خلال فترة الكساد الإقتصادي الكبير في أميركا (في الثلاثينات من القرن العشرين) النهج التالي: «إن لم تستطع دفع الثمن نقداً، هذا يعني انك لا تحتاج إليه!». أني أتعاطف مع وجهة النظر هذه؛ ولكني لا اعتقد أن هذا ما كان يقصده بولس هنا[2].

إن عبارة «لاَ تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ» هي متابعة لما ورد في الآية ٧[3]؛ والذي يقول: «فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمُ: الْجِزْيَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِزْيَةُ. الْجِبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الإِكْرَامُ». العبارة «لاَ تَكُونُوا مَدْيُونِينَ» في هذا السياق معناها: «لا تخفقوا في القيام بما قد قلته لكم الآن: ادفعوا الضرائب، احترموا السلطات المدنية واكرموها». والفكرة الأساسية هي: «لا تخفقوا في دفع ما عليكم»[4]. {أي بعبارة أخرى: «ادفعوا كل ما عليكم من الديون»}.

هل يمكن تطبيق المبدأ القائل: «ادفعوا كل ما عليكم من الديون» بطريقة أوسع مما نحن مديونين به للحكومة؟ نعم، طالما تابع بولس هذه التوصية بتعليم شامل في طبيعته. نحتاج إلى التذكير من وقت إلى آخر أن المسيحيين يدفعون ديونهم. يقول المزمور ٣٧: ٢١: «الشِّرِّيرُ يَسْتَقْرِضُ وَلاَ يَفِي ...». المسيحيون الذين لم يدفعوا فواتيرهم قد لحقوا بدعوى المسيح

---

[1] هذا هو المعنى الحرفي للعبارة «مارانا ثا μαράνα θά».

[2] يتحدث الكتاب المقدس عن الإقراض والاقتراض. راجع على سبيل المثال خروج ٢٢: ٢٥؛ المزمور ٣٧: ٢٦؛ متى ٥: ٤٢؛ لوقا ٦: ٣٥؛ فليمون ١٧ و١٨.

[3] العلاقة بين الآيتين ٧ و٨ أوضح في اللغه اليونانية مما في اللغة العربية. الكلمتين اليونانيتين المترجمتين إلى «حقوقهم» في الآية ٧ و«حقوقهم» في الآية ٨ هما من أصل كلمة واحدة.

[4] وردت عبارة «لاَ تَكُونُوا مَدْيُونِينَ» في صيغة المضارع، مما يدل على استمرار العمل. قد تُتَرْجَم هذه العبارة كما يلي: «لا تمكثوا في الدين».

أذى جسيم[٥].

بما اننا نتحدث عن هذا الموضوع، أريد أن أضيف إنذاراً. عندما نتحدث عن الجزء الأول من رومية ١٣: ٨. كل ما يسمعه بعض المسيحيون هو «يمكنك أن تأخذ ديناً إن كنت تسدد هذا الدين». لهذا يعتقدون انه ليس هناك خطأ في أن يأخذوا على أنفسهم مسؤوليات مالية أكثر مما ينبغي طالما سيدفعون ديونهم بطريقة ما أو بأخرى[٦]. ونتيجة لذلك، دفع الفواتير يسلبهم كل وقتهم وطاقاتهم. ولا يبقوا للرب ولأسرهم وللآخرين من وقتهم وطاقاتهم إلا القليل، أو لا شيء. ينتهك مثل هذا الأسلوب المالي مباديء الكتاب المقدس بما فيها المبدأ الوارد في الآية ٨: «... أَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا».

القدرة على الوفاء بالإلتزامات المالية موضوع هام جداً. ولكن يجب أن أواصل في الموضوع الذي كان بولس يتحدث عنه. قال: «لاَ تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ...» (الآية ٨). علينا أن ندفع ديوننا، ولكن هناك ديناً واحداً لن نستطيع الوفاء به على أكمل الوجه. وذلك الدين هو المحبة التي نحن مديونين بها لبعضنا البعض. قال دي ستوارت بريسكو:

> يبدو أن المحبة ترسخ في فكر الناس كشيء بين مثلاً أعلى وشيء إختياري رائع. ولكن بولس شدد على أن تلك المحبة ملزمة لنا مثلها مثل الإلتزام بدفع الضرائب وتسديد الديون الشخصية[٧].

تشير عبارة «بَعْضُكُمْ بَعْضًا» عادة إلى المسيحيين (راجع ١٢: ١٠). وربما كان بولس يقصد هذا بصفة خاصة. ولكن كما سنرى، التطبيق الذي قدمه أوسع من مجرد تطبيق على المسيحيين. نحن مديونين بمحبة بعضنا البعض.

لماذا نحن «مديونين» لجميع الناس بالمحبة؟ لأن الرب قد أحبنا. كتب يوحنا قائلاً: «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، إِنْ كَانَ اللهُ قَدْ أَحَبَّنَا هكَذَا، يَنْبَغِي لَنَا أَيْضًا أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا» (١ يوحنا ٤: ١١). يقتبس الكثير من المفسرون من أوريجين[٨] بما يختص بهذا الدين الدائم: «ليكن دينك الوحيد غير المدفوع هو دين المحبة – الدين الذي تحاول دائماً أن تدفعه بالكامل ولكن دون أن تنجح في دفعه»[٩].

> نحن مديونين بصفة دائمة للمسيح. الطريقة الوحيدة التي قد نحاول بها سد هذا الدين هي بان نحب الآخرين. لأن محبة المسيح هي دائماً أعظم من محبتنا إلى ما لا نهاية، ستكون الضرورة علينا دائماً أن نحب جيراننا[١٠].

تتميم الناموس (الآيات ٨-١٠)

استمر بولس في حواره وقدم سبباً واحداً لأهمية أن نحب بعضنا البعض: «... لأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ ...» (الآية ٨). وردت كلمة «الناموس» في هذه الآية بصيغة النكرة، أي غير معرفة بـ«ال»؛ ولكن في الآية ٩ اقتبس بولس من الناموس (خروج ٢٠؛ تثنية ٥). لقد أضاف المترجمون «ال» هنا للإشارة إلى أن هذا يشير بصفة أساسية إلى ناموس موسى. عندما قال بولس أن «مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ» لم يكن يقصد الناموس كله، بل كان يقصد ذلك الجزء من الناموس الذي يشير إلى علاقة الشخص برفقائه من بني البشر.

فسر بولس في الآية ٩ ما كان يقصده، إذ قال: «لأَنَّ: لاَ تَزْنِ، لاَ تَقْتُلْ، لاَ تَسْرِقْ، لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ، لاَ تَشْتَهِ»، وَإِنْ كَانَتْ وَصِيَّةٌ أُخْرَى، هِيَ مَجْمُوعَةٌ فِي هذِهِ الْكَلِمَةِ:

---

[٥] يحدث هذا أحياناً بسبب ظروف خارجة عن سيطرتهم؛ حتى وإن كان الحال هكذا، يذهب المسيحيون ذوي الضمائر الحية إلى الذين هم مديونين لهم لوضع خطط وترتيبات لدفع ديونهم في وقت لاحق.

[٦] يكون هذا سهل أحياناً في بعض الدول بالحصول على بطاقات الإتمان {«credit cards»}. يميز بعض المفسرون بين الدين من أجل سد الحاجة وبين الدين من أجل إشباع الطمع.

[٧] مأخوذ من دي ستوارت بريسكو في تفسيره بعنوان «Mastering the New Testament: Romans» من سلسلة «The Communicator's Commentary Series»، صفحة ٢٣٨.

[٨] أوريجين {«Origen(s)»}: أحد أبرز أباء الكنيسة.

[٩] ورد هذا الإقتباس في تفسير دبليو ساندي و أي سي هيتلام بعنوان «The Epistle to the Romans» من مجلد «The International Critical Commentary»، صفحة ٣٧٣.

[١٠] بروس بارتون ودفيد فيرمان ونيل ويلسون في تفسيرهم للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «Romans» من مجلد «Life Application Bible Commentary»، صفحة ٢٥٣.

أَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». تبدأ هذه الآية بإقتباس أربعة من الوصايا العشر الواردة في الأصحاح ٢٠ من سفر الخروج والأصحاح ٥ من سفر التثنية. تُقسم الوصايا العشر عادة إلى قسمين: تتعامل الوصايا الأربع الأولى مع علاقتنا مع الله، والست الأخيرة تتعامل مع علاقتنا مع الآخرين. الأمثلة التي قدمها بولس مأخوذة من المجموعة الثانية:

- الوصية السابعة: «لا تزن» (الآية ٩)؛ راجع خروج ٢٠: ١٤). الزنى في الوصايا العشر تشمل جميع الخطايا الجنسية، ولكن تشير الوصية إلى عدم الإخلاص في العلاقة الزوجية. تحمي هذه الوصية الأسرة.
- الوصية السادسة: «لا تقتل» (الآية ٩؛ راجع خروج ٢٠: ١٣). تشير هذه إلى من يتعمد في قتل شخص آخر. تحمي هذه الوصيه الحياة.
- الوصية الثامنة: «لا تسرق» (الآية ٩؛ راجع خروج ٢٠: ١٥). تشير هذه الوصية إلى أخذ ممتلكات الآخرين دون الإستئذان منهم. وتحمي هذه الوصية الممتلكات.
- الوصية العاشرة: «لا تشته» (الآية ٩؛ راجع خروج ٢٠: ١٧). الشهوة هي رغبة شديدة في شيء لشخص آخر. تحمي هذه الوصية القلب.

تأمل في أن بولس لم يتبع الترتيب الوارد في الأصحاح ٢٠ من سفر الخروج. وأيضاً لم يذكر الوصيتين الخامسة والتاسعة: «أكرم أباك وأمك» و«لا تشهد شهادة زور». (هاتين الوصيتين ووصايا أخرى مشمولة في العبارة: «وَإِنْ كَانَتْ وَصِيَّةٌ أُخْرَى» الواردة في رومية ١٣: ٩). تعامل بولس غير الرسمي مع هذه الوصايا يدل على انه لم يكن يحاول إعادة العمل بالوصايا العشر[١١]. بل يذكر الإلتزامات الإخلاقية التي كان يعترف بها معظم الناس ذوي الضمائر الحية ليعيشوا حياة التقوى.

قال بولس أن كل مثل هذه الوصايا «هِيَ مَجْمُوعَةٌ فِي هذِهِ الْكَلِمَةِ: أَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ» (رومية ١٣: ٩). عندما سُئِلَ يسوع: «يَا مُعَلِّمُ، أَيَّةٌ وَصِيَّةٍ هِيَ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ؟» (متى ٢٢: ٣٦)، أجاب:

> «فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ {راجع تثنية ٦: ٥}. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ {راجع لاويين ١٩: ١٨}» (متى ٢٢: ٣٧-٣٩).

بما أن اهتمام بولس في نص درسنا هذا كان عن علاقتنا مع الآخرين، ركز على ما أسماه يسوع بثاني أعظم وصية، وهي: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». الكلمة («πλησίον» بلسيون) المترجمة هنا إلى «قريبك» لا تعنى بالضرورة جارك أو أحد أنسبائك كما يتضح هذا في مثل السامري الصالح. بل تشمل كل من نلاقيه وله حاجة حقيقية (راجع لوقا ١٠: ٢٥-٣٧).

ربما يجب القول أن كلمة «كنفسك» لا تعنى أن الله قد أوصاك بان تحب نفسك، بل تعترف {هذه الكلمة} بالحقيقة أن الناس عادة يحبون {«ἀγαπάω»} أنفسهم. أي أن معظم الناس يعملون ما بوسعهم لكي يتأكدوا من توفير احتياجاتهم الأساسية مثل المأكل والملبس والمسكن. هكذا أيضاً ينبغي أن نحب {«ἀγαπάω»} الآخرين بالاهتمام بهم ونجتهد من أجل الوفاء باحتياجاتهم الروحية الجسدية والعاطفية[١٢].

عند استمرارنا في الحديث عن محبتنا للآخرين، قد نتوقع أن يقول النص: «المحبة تصنع خيراً للقريب»، ولكن بدلاً من ذلك، قال بولس: «اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَصْنَعُ شَرًّا لِلْقَرِيبِ» (رومية ١٣: ١٠). لماذا استخدم بولس الصيغة السلبية بدلاً من الإيجابية؟ ربما لأن الوصايا الأربعة التي ذكرها قبل قليل كلها بالصيغة السلبية: «**لا** تزن، **لا** تقتل، **لا** تشتهي». إن كنا نحب كما ينبغي،

---

[١١] بما يختص بعلاقة المسيحي مع ناموس موسى، بما في ذلك الوصايا العشر، راجع تفسيرنا لرومية ٧: ١-٤ في الدرس الذي بعنوان «المسيحي والناموس (٧: ١-١٤)».

[١٢] إن شئت يمكنك أن تراجع الدرس الذي بعنوان «كيف تحب من لا يمكن محبته (١٢: ١٤، ١٧-٢١)».

سنعمل بكل هذه الشرائع - وكل وصية أخرى عن الناس. لهذا السبب قال بولس «فَالْمَحَبَّةُ هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ» (الآية ١٠).

دعني أوضح ما لم يقله بولس في الآية ١٠. لم يقل انه ما دامت المحبة هي تكميل الناموس، لا نحتاج في ما بعد إلى نواميس/شرائع الله. كانت هناك حركة في الماضي بهذا الشعار «الشريعة الوحيدة هي المحبة»، وأعضاء تلك الحركة اعلنوا بانهم متحررين من وصايا الكتاب المقدس بما يختص بالعقيدة والسلوك الإخلاقي. أقول مرة أخرى أن هدف بولس لم يكن التحدث بالتفصيل عن كل وصية من عند الله. مثل هذه الخلاصة تبطل الكثير مما قاله بولس في الأصحاحات ١٢ إلى ١٦ من الرسالة إلى إهل رومية. كتب جون آر دبليو ستوت ما يلي:

> المحبة وحدها لا تفلح بدون معيار إخلاقي منظور. لهذا لم يكتب بولس أن «المحبة هي نهاية الناموس» بل أن «المحبة هي تكميل الناموس». لأن المحبة والناموس يحتاجان إلى بعضهما البعض. تحتاج المحبة إلى الناموس لتوجيهها، بينما يحتاج الناموس إلى المحبة لتحثه[١٣].

هل كان بولس يقول اننا لم نعد نحتاج إلى نواميس الله (كما هي مكتوبة في العهد الجديد)؟ إن لم يقل هذا فما الذي كان يقول؟ كان يقول أن المحبة تحثنا على حفظ {أي «لتتميم/تكميل»} الوصايا المذكورة في الآية ٩، كما ذكرنا سابقاً. الرجل الذي يحب زوجته هو مخلصاً لها. إن كان الشخص يحب أخاه، فانه لا يؤذيه - ولن يقتله أبداً. ومن يحب الآخرين لا ينهبهم. بل يفرح عندما تحدث للآخرين أشياء جيدة، ولا يشتهي ما لهم.

دعني أقول أيضاً أن الله أعطى الناس شرائع ليعلمهم كيف يتصرف الإنسان المُحِب نحو الله والآخرين. إذن عندما يتعلم الشخص كيف يحب، فانه يتمم بذلك الجزء الهام من ناموس الله.

ماذا ينبغي أن نعمل إلى أن يجيء الرب؟ ينبغي أن نتعلم كيف نكون أُناس محبين.

عش حياة التقوى (١٣: ١١-١٤)

ينقلنا هذا إلى الآية التي ورد اقتباسها في مقدمة هذا الدرس: «هذَا وَإِنَّكُمْ عَارِفُونَ الْوَقْتَ، أَنَّهَا الآنَ سَاعَةٌ لِنَسْتَيْقِظَ مِنَ النَّوْمِ، فَإِنَّ خَلاَصَنَا الآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ حِينَ آمَنَّا» (الآية ١١). قال ديل هارتمان أن جميع الرسائل (من الرسالة إلى أهل رومية إلى رسالة يهوذا) تتحدث بصفة رئيسية عن حياة التقوى[١٤]. الآيات التالية هي دليل قوي على ذلك.

«ما هو الوقت؟»

استخدم بولس مثل لوالد يوقظ طفلاً ويعطيه إرشاد لليوم. يبدأ هذا القسم بالكلمات التالية: «هذَا وَإِنَّكُمْ عَارِفُونَ الْوَقْتَ، أَنَّهَا الآنَ سَاعَةٌ لِنَسْتَيْقِظَ مِنَ النَّوْمِ ...» (الآية ١١). يحاول المفسرون تحديد ذلك «الوقت» وتلك «الساعة». تتروح التخمينات من زمان اضطهاد الأمبراطور الروماني نيرون للمسيحين إلى زمان خراب أورشليم. ربما ترك بولس هذه العبارة مبهمة لكي تنطبق في يومنا هذا كما كانت في زمان بولس. بما يختص بالنوم الروحي، لا نستيقظ الآن ولا نحاول الاستيقاظ لاحقاً. «وقت» الاستيقاظ هو دائماً الآن. أتصور والدة تعد السرير لطفلها النعسان وتقول له بصوت عال: «قت حان وقت الاستيقاظ!».

استمر بولس في الآية ١١ قائلاً: «... فَإِنَّ خَلاَصَنَا الآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ حِينَ آمَنَّا». تشير كلمة خَلاص هنا إلى خلاصنا النهائي في السماء، كما قلنا في المقدمة (راجع ١ بطرس ١: ٥). بما اننا سننال ذلك الخلاص عند مجيء الرب عند نهاية الزمان (راجع عبرانيين ٩: ٢٨)، انه «الآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ حِينَ آمَنَّا». تشير العبارة «حِينَ آمَنَّا» إلى الوقت الذي أصبحنا فيه مسيحيين. أراد بولس لهم أن يتذكروا الوقت الذي أمنوا فيه لأول مرة. كلام بولس هذا يتضمن ضرورة استيقاظ قُرَّاءِه

---

[١٣] جون آر دبليو ستوت في تفسيره بعنوان «The Message of Romans: God's Good News for the World»، من سلسلة «The Bible Speaks Today series»، صفحتي ٣٤٩-٣٥٠.

[١٤] موعظة ألقاها ديل هارتمان بإحدى كنائس المسيح في مدينة ميدوست سيتي بولاية أوكلاهوما الأميركية في ١٦ أكتوبر سنة ٢٠٠٥.

المسيحيين لأن المسيح قد يأتي في أي وقت. إن كانوا نائمين روحياً فلن يكونوا مستعدين لمجيئه.

متى يكون المجيء الثاني للرب؟ قال يسوع: «وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ» (مرقس ١٣: ٣٢). لم يعرف بولس الوقت المحدد[١٥]، ولكنه كان يعرف هذا: أن الوقت كان أقرب مما كان حين آمن قُرَّاءه. إن كان هذا صحيح في زمان بولس، فكم يكون أصحَّ في يومنا هذا! المجيء الثاني أقرب بألفين سنة الآن مما كان عندما كتب بولس هذه الرسالة إلى أهل رومية!

استمر بولس بالتوكيد على ضرورة اليقظة في ١٢: «قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ ...» (رومية ١٣: ١٢). يظهر المفسرون عمل إبداعي عظيم في تحديد «الليل» و«النهار»[١٦]، ولكن ربما كان بولس يواصل في التشبيه الذي سبق فقدمه. عندنا في البيت عندما يتناهى الليل ويتقارب النهار، هذا يعني انه قد حان الوقت للإستيقاظ ومباشرة عمل اليوم! أتذكر مرة مشهد والد وهو يهزسرير ولده قائلاً: «قد حان وقت النوم!». و قد أتصور الولد وهو يسحب الغطاء هو يتمتم قائلاً: «أرجوك يا بابا امهلني خمس دقائق أخرى». (نعم لقد اختبرتُ هذا المشهد). ويجيب الأب: «ولا حتى ثانية واحدة! لقد فات موعد النوم!» هذا جوهر ما كان يقوله بولس.

«ماذا يجب أن نفعل؟» (الآيات ١٢-١٤)

ماذا يجب أن نعمل حالما نستيقظ وننهض من الفراش؟ قال بولس بعد ذلك انه ينبغي أن نلبس: «... فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ» (الآية ١٢). استخدم بولس عادة استعارة سلوك «الخلع» و«اللبس» مثلما يخلع الشخص الملابس ويلبسها (راجع أفسس ٤: ٢٢-٢٤؛ كولوسي ٣: ٨-١٠). في رومية ١٣: ١٢ مطلوب منا في الواقع أن نخلع ملابس النوم ونلبس الملابس الملائمة لأعمال اليوم[١٧].

تشير عبارة «أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ» أعمال الخطيئة. وتُسمى بـ«أعمال الظُّلْمة» لأنها أكثر احتمالاً أن تُفعل في الليل أو تحت غطاء الظلام (راجع يوحنا ٣: ١٩؛ ١ تسالونيكي ٥: ٧). لا تنسى أن بولس كان يتحدث إلى المسيحيين. هل يرتكب المسيحيون الفسق؟ نعم، يرتكبونها - وعندما يرتكبونها، يجب مواجهتهم: «عليك أن تستأصل ذلك الإثم من حياتك؛ تتخلص منه!»؛ «اطرح الأشياء التي يعملها الناس في الظلام» (رومية ١٣: ١٢).

طبعاً خلع ملابس النوم لا يفي بالغرض، بل ويجب أن نلبس ملابس النهار. قال بولس أن «نَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ». تشير كلمة «أسلحة» في هذه الآية (من «هوپلون ὅπλον») إلى «أسلحة حرب أو آلات حرب». وهي الكلمة المستخدمة في العبارتين «آلاَتِ إِثْم» و«آلاَتِ بِرّ» في رومية ٦: ١٣[١٨]. لا نلبس لكي نتشمّى في نزهة، بل استعداداً للقتال في «جَاهِدْ جِهَادَ الإِيمَانِ الْحَسَنَ» (١ تيموثاوس ٦: ١٢).

بعد أن نستيقظ ونلبس، ماذا نفعل؟ يجب أن نعيش الحياة التي تمجد خالقنا ومخلصنا. «لِنَسْلُكْ بِلِيَاقَةٍ كَمَا فِي النَّهَارِ» (رومية ١٣: ١٣). تدل عبارة «كَمَا فِي النَّهَارِ» إلى أنه يجب أن نحيا حياتنا بإخلاص ولا نخجل من أن يفحصها الجميع.

بما يختص بعبارة «لِنَسْلُكْ بِلِيَاقَةٍ»، قدم بولس ستة أمثلة عن «أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ» التي يجب أن نتجنبها: «... لاَ بِالْبَطَرِ وَالسُّكْرِ، لاَ بِالْمَضَاجِعِ وَالْعَهَرِ، لاَ بِالْخِصَامِ وَالْحَسَدِ» (الآية ١٣). لا تشمل هذه القائمة على جميع «أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ»، بل هي قائمة نموذجية. يمكننا إضافة عبارة «مثل هذه» في هذا النوع من القائمة كما فعل بولس في الرسالة إلى أهل غلاطية ٥: ١٩-٢١. وُضعت الأمثلة الستة الواردة في نص درسنا هذا في ثلاث مجموعات زوجية.

---

[١٥] لم يعلم المتحدثون الموحى إليهم في العهد الجديد أن المجيء الثاني كان سيأتي حالاً، بل قد يأتي في أية لحظة {منذ ذلك الزمان}.

[١٦] يوجد التباين بين الليل والنهار عدة مرات في الأسفار المقدسة. راجع على سبيل المثال إنجيل يوحنا ٩: ٤ و١ تسالونيكي ٥: ٥.

[١٧] يمكنك أن تجعل هذا يتناسب ومجتمعك. قد تقول: «أترك البطانية والبس ملابس العمل».

[١٨] راجع تفسيرنا لرومية ٦: ١٣ في الدرس الذي بعنوان «كيف تحيا حياة جديدة في المسيح (٦: ٥-١٤)» في الجزء الرابع من هذه السلسلة.

المجموعة الأولى «البطر والسكر». كلمة بطر هنا هي من اليونانية «كوموس κῶμος» وتشير هذه الكلمة في الآية ١٣ إلى الإسراف في الاحتفال. تصف كلمة «كوموس κῶμος» نوع العربدة التي تقلل من مقام الشخص وتكون مزعجة للآخرين. وتكون هذا عادة نتيجة للسكر، لهذا تكون مرتبطة بخطيئة السكر.

ورد بعد ذلك «المضاجع والعهر». تُرجمت كلمة «المضاجع» هنا من صيغة الجمع للكلمة اليونانية «كويتي κῶμος»، أي «مضجع، سرير، فراش». كانت كلمة «كويتي κοίτη» تُستخدم كلطف التعبير عن الاتصال الجنسي أو العملية الجنسية. تُستخدم أحياناً كلمة «مضجع» بهذا المفهوم نفسه في يومنا هذا، كما في القول: «انهما اتضجعا معاً». تشير كلمة المضاجع هنا إلى النشاطات الجنسية غير الشرعية.

ازدوجت كلمة «المضاجع» مع كلمة «العهر» المترجمة من اليونانية «أسلغيا ἀσέλγεια». تدل هذه الكلمة اليونانية على «الإفراط، والخلاع، وعدم التقييد، وعدم التعفف، وعدم الاحتشام، والبطر ... الفكرة الأساسية هي تعامل بلا خزي»[١٩]. كتب وليم باركلي قائلاً: «أن كلمة أسلغيا ἀσέλγεια هي من إحدى أغبى الكلمات في اللغة اليونانية. انها لا تصف الفجور فحسب، بل وتصف أيضاً الشخص الضال في الخزي»[٢٠]. وقال جون مكارثر «انها تشير إلى أنواع الفسوق الجنسية والإنغماس التي تتميز بها نسبة كبيرة من المجتمع الحديث والتي يتم الإعتزاز بها عادة كميزة جيدة»[٢١].

إن لم تدنك الخطيئتان في المجموعة الأولى، فإن الثالثةقد تدينك: «الخصام والحسد». ترجمت كلمة «الخصام» هنا من اليونانية «إريس ἔρις»، وتشير إلى التعبير عن العداوة. تعكس كلمة «إريس ἔρις» «روح تنافس مضاد الذي يصارع من أجل إيجاد طريقه، بغض النظر عن الثمن الذي يدفعه أو الضرر الذي قد يسببه للآخرين»[٢٢]. لها صلة وثيقة بالغيرة («زيلوس ζῆλος»)، وتصف «الروح الذي لا يكتفي بما لديه وينظر بعين الغيرة إلى كل بركة تُعْطَى لشخص آخر»[٢٣].

يعتبر البعض أن الخطايا الأربعة الأولى: السكر والبطر والمضاجع والعهر بانها «خطايا سيئة»، ولكنهم يصنفون الخصام والحسد بانهما ليسا سيئان إلى ذلك الحد. بما أن بولس وضع الخصام والحسد في قائمة واحدة مع الخطايا الأخرى الواردة ذكرها فهذا يدل على أن الله لا يصنف الخطايا بـ«كبيرة» أو«صغيرة». الخصام والحسد هما تعبيران أكثر تمدناً للانغماس الذاتي الخاطيء المعبر عنها في الخطايا الأربع الأولى. ربما وضعما بولس في نهاية القائمة لأن بعضنا قد يجد أن التخلص من هاتين الخطيئتين أكثر صعوبة من التخلص من الخطايا الأخرى المذكورة.

كيف يمكننا تجنب «أعمال الظُّلْمَة» هذه؟ أعطى بولس وصيتين، الواحدة إيجابية والأخرى سلبية. لننظر في الوصية الإيجابية أولاً. كان بولس قد أخبر قُرَّاءه في الآية ١٢ أن يلبسوا «أَسْلِحَةَ النُّورِ»؛ ويناشدهم الآن في الآية ١٤ قائلاً «الْبَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ».

ماذا يعني أن نلبس (اليونانية: «إندوو ἐνδύω») المسيح؟ قيل لنا في الأصحاح ٦ انه عندما نتعمد، نتعمد اتحاداً بالمسيح يسوع (الآيتان ٣ و٥). وكان بولس قد كتب أيضاً في رسالة سابقة قائلاً: «لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ» (غلاطية ٣: ٢٧). نلبس المسيح عندما نتعمد ونصبح مسيحيين – ولكن لا بد أن نتعلم كيف نحيا كالذين قد لبسوا المسيح. ينبغي أن نلبس لطف الرب وتقواه وقوته. إن كنا نعمل هذا، سنتجنب أنواع الخطايا المذكورة في الآية ١٣.

---

[١٩] دبليو إي فاين ومريل أف أونقر، ووليم وايد جونيور في تفسيرهم بعنوان «Vine's Complete Expository Dictionary of Old and New Testament Words»، صفحة ٣٥٣.

[٢٠] وليم باركلي في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «The Letter to the Romans»، (الطبعة المنقحة ١٩٧٥)، صفحة ١٧٩.

[٢١] جون مكارثر في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «Romans 9-16» من سلسلة «The MacArthur New Testament Commentary series»، صفحة ٢٦٧.

[٢٢] جون مكارثر في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «Romans 9-16» من سلسلة «The MacArthur New Testament Commentary series»، صفحة ٢٦٧.

[٢٣] وليم باركلي في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «The Letter to the Romans»، (الطبعة المنقحة ١٩٧٥)، صفحة ١٧٩.

بعد ذلك تأتي وصية بولس السلبية. وهي وصية عملية: «... وَلاَ تَصْنَعُوا تَدْبِيرًا لِلْجَسَدِ لأَجْلِ الشَّهَوَاتِ» (رومية ١٣: ١٤). تُرجمت كلمة «تدبير» هنا من اليونانية «پرونويا πρόνοια» والتي تعني «فكر سابق،تبَصُّر، بُعد النظر والمقصود هو وضع التدبير لشيء ما»[٢٤].

ماذا يعني صنع تدبيراً للجسد؟ فكر في القيام ببعض التحضيرات لشيء ما - أيٌّ كان. ربما لرحلة تخطط فيها ... أو لقضاء فترة الإجازة ... أو لمستقبل بصفة عامة. كيف تقوم بالتحضير لكل من هذه؟ فيما يلي مثال بسيط: تصور انك تسير في غابة، وفكرت في أن تشعل ناراً. كيف «تصنع تدبيرا» لذلك؟ تحتاج أولاً إلى كومة من الحطب، وبعض من المواد السريعة الإشتعال، تجمع كل هذا. ثم تحتاج إلى شيء لتشعل به النار. ربما تحمل في جيبك علبة الكبريت. بالحطب والشعلة قد «صنعت تدبيراً» للنار. ولكن إن لم يكن لديك اللهب والحطب، فبدونهما لن يكون هناك نار. قال بولس في الواقع: «لكي تكفوا عن إشتعال شهواتكم، ألقوا علبة الكبريت ولا تجمعوا الحطب!»

إن كان مدمن الخمر الذي تم إهتداءه يستمر في حفظ الخمر في بيته، ويستمر في معاشرة أصدقاءه السابقين الذين كان يتعاطى معهم الخمر، فانه بذلك يصنع تدبيراً ليتعاطى الخمر. إذا سهرت ليلة السبت ولم تذهب إلى السرير في وقت مناسب، فانك بذلك تصنع تدبيراً لكي لا تذهب إلى خدمة العبادة في صباح الأحد.

أسأل نفسك: «ما هي ضعفاتي الروحية؟» (يجب أن تعرفها لأن إبليس يعرفها). ومن ثم أطرح السؤال: «من هم الذين يحتمل أن يشجعوني أكثر على الاستسلام للتجربة وما هي الأماكن والنشاطات والحالات التي تشجعني أكثر على ذلك؟» حالما تجب على هذا السؤال، افعل كل ما بوسعك للإبتعاد عن هؤلاء الناس والأماكن والنشاطات والحالات. إن كنت تفعل غير هذا، فانك «تصنع تدبيراً للجسد لأجل الشهوات». أعاد كي جي فورمان صياغة ذيل الآية ١٤ كما يلي: «لا تخطط للخطيئة، لا ترحب بها، وتعطيها فرصة. أركل الخطيئة من بابك فلا تدخل في بيتك»[٢٥].

أحد الأسماء المشهورة في تاريخ الكنيسة هو اسم أوغسطين. تحدث في كتابه بعنوان «الاعترافات» عن إهتداءه. كاد أن يُقنع في فصل الصيف سنة ٣٨٦ ليكون مسيحياً بينما كان يعمل أستاذ في علم البيان في ميلان بإيطاليا. ولكنه لم يستطع الانفصال عن حياة الخطيئة العتيقة. وفي أحد الأيام بينما كان في حديقة أحد أصدقاءه، سمع طفلاً يلعب ويقول: «أخذ واقرأ، خذ واقرأ». وكانت على مقعد بجواره نسخة من رسائل بولس. فأخذها أوغسطين، وكانت الكلمات الأولى التي رآها هي: «... لاَ بِالْبَطَرِ وَالسُّكْرِ، لاَ بِالْمَضَاجِعِ وَالْعَهَرِ، لاَ بِالْخِصَامِ وَالْحَسَدِ. بَلِ الْبَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ، وَلاَ تَصْنَعُوا تَدْبِيرًا لِلْجَسَدِ لأَجْلِ الشَّهَوَاتِ» (رومية ١٣: ١٣ و١٤)[٢٦]. وكتب: «لم أقرأ أكثر من ذلك، ولم احتج إلى المزيد من القراءة، لأنه حالما انتهت تلك الجملة (بانتهاء الضوء كما لو سُكبت في قلبي بالأمان) تلاشت كل كآبة الشك»[٢٧].

ساعدت كلمات بولس هذه في تغيير أوغسطين، وقد تساعد أيضاً في تغييرك. من الآن وإلى أن يأتي الرب، انه من الضروري أن تحيا حياة التقوى.

الخلاصة

يُشار إلى رومية ١٣: ٨-١٤ «نداء اليقظة من قبل الله» للمسيحيين الكسولين. طريقة بسيطة لتلخيص هذا النص هي بالقول أنه ينبغي أن نجتهد لنكون مثل الرب إلى أن يأتي: ينبغي أن نكون أناس محبين، وينبغي أن نكون أناس أتقياء. بما أن الرب قد يأتي في أي وقت، ينبغي أن يسأل كل منا نفسه: «هل أنا مستعد لمجيئه؟» إن كنت تفتقر إلى شيء في حياتك الروحية، أتمنى أن تجد له الحل اليوم.

---

[٢٤] ليون موريس في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «The Epistle to the Romans»، صفحة ٤٧٣.

[٢٥] كنيث جي فورمان في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «The Letter of Paul to the Romans» من سلسلة «The Layman's Bible Commentary» المجلد ٢١، صفحة ٥٧.

[٢٦] طبعاً قرأ أوغسطين تلك الكلمات باللغة اللاتينية وليس بالعربية.

[٢٧] أوغسطين في كتابه بعنوان «Confessions» ٨.١٢.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠